آفةُ القُربِ كَسُمِّ العَقْرَبِ

سلاحُ كل جاهل مُتعالم !

حنانيك حنانيك... يا من هذا خُلُقهُ!

بقلم

عبد الغني بن ميلود الجزائري

عفا الله عنه



الأوراس

للنشر على الشبكة الدولية

آفةُ القُربِ كَسُمِّ العَقْرَبِ

سلاحُ كل جاهل مُتعالم !

حنانيك حنانيك... يا من هذا خُلُقهُ!



النسخة الأولى

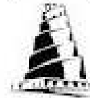
باتنة — الجزائر

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

الناشر

الأوراس إشارة لصاحبها (عبد الغني بن ميلود الجزائري) يرمزُ بها لِما ينشُرهُ؛ ليست مؤسسة مطبعية عائلة... وهذا لقطع الطريق على المتطفلين الناسبين لأنفسهم أعمال غيرهم -سرقة!!-.

فهي إشارة للناشر والعمل نفسه؛ مهما كان حجمهُ وموضوعهُ وأهميته...



الأوراس

للنشر على الشبكة الدولية



آفةُ القُربِ كَسُمِّ العَقْرَبِ...

الحمد لله الإله المعبود حقـاً ذي الجـلال والكبرياء، والصـلاة والسـلام علىٰ نبيّنـا محمـد بـن عبـد الله الهاشـمي سـيّد ولـد آدم وعلـىٰ آلـه وأصـحابه وإخوانه.

أمّا بعدُ:

فقد عاينتُ أمراً مـن الأمـورِ وعلىٰ إثـرهِ عانيـتُ مـرارة غربـة أهـل السـنّة والجماعة هذه الأيّام.

والمشكلةُ ليست في الغربةِ ذاتِها -إذ هـي سِـمَةُ أهـل السـنّة-؛ ولكـن لمّـا كانت بين أهل السنّة أنفسِهم اشتدّ الخطبُ، وتجلّىٰ الخطرُ للخرط... ولـك أن تعجب يا صاحِبي!!

كانت الحادثة في ليلـة مـن ليـالِ شـهرٍ قريـب مـن اللحظـة الآنيّـة، عنـدما عزمتُ زيارة واحد من مشايخنا الأفاضـل -حفظهـم الله أجمعـين- بُغيـة الظّفـر بإجاباتٍ علىٰ جمعٍ من أسئلة شرعيّة، وقد كان.

ولكن...

بينما أنا أسألُ -وكنتُ أنهيتُ قراءتها علىٰ الشيخ، ولم يبقَ سِوىٰ الأخير فيما أذكر- حتّىٰ جاء شابٌّ حضرَ اللقاء؛ فسلّمَ وجعلَ يطلُبُ الشيخَ في أمرٍ خاصٍّ علىٰ انفرادٍ؛ فتَنَحَّيتُ أنا جانِبًا ليجِدَ ذاك الشّابُ راحتَهُ فيما يُريدُ الشيخَ من أجلِهِ...

لحظاتٌ فقط... حتّىٰ قال الشيخ لي: تفضَّل[1]...

فتقـدّمتُ لأقِفَ معهُما، وأخـذتُ أسـمعُ مـا يقولُـهُ ذاك الأخُ الشّـاب؛ فوجدتُ ما وجدتُ من: رفعِ الصّوتِ بين يدي الشيخ، وحركات تخلُّ بسمتِ المسلِمِ الطالب لجوابٍ عن سؤالِهِ فضلا عن طالب العلم، ومُقاطعة الشيخ مرات -بقوله في كلّ مرّة: «**أعذرني علىٰ المقاطعة**» ويستمرُّ؛ فليتَهُ لم يعتذر أصلاً!-، وقوله للشيخ: «**لو كلّمكَ (فلان)؛ فانصحهُ**» -بلهجةٍ لا تليق ومُتكلّمه، كأنّهُ مع صديق له! ليس شيخا يُقرُّ هو بفضله-.

مع هذا كلّهِ؛ يقول مردّداً في كلامِهِ وكلّ مرّة: «**يا شيخ... يا شيخ... شيخنا...**» وهذا ما ترك زلاّتهُ السابقة والمتتالية تُغطّىٰ؛ بل تُطوىٰ بترداده هذه الكلمة الأخيرة، وهي: «**يا شيخ**» والتي فصلت بينهُ والشيخ، وجعلت الفارقَ واضِحـًا.

---

(١) يعني: الأمر لا يحتاج هذا الإنفراد... كَون الكلام جِدُّ عادي ولا طائل من جعله كما بدا أوّلا!!

ومِن ثَمَّ أنهىٰ الأخُ ما جاء من أجلهِ؛ والشيخ صابِرٌ فيما أحسُّ بـه، خاصّـة وأنّ الوقت الذي أخذهُ المتكلّمُ طويلٌ، والحكمةُ تقتضي الاختصار والاكتفاءُ بما فيه أهمّيّة...

فقلتُ في نفسي: ما أصبر الشيخ، وما أحلمهُ...!!

وبادرتُ بآخر ما عندي -مما تخلّف من أسئلتي الأُولىٰ- لأنهي، وكـان الأخ ينتظرني علىٰ مَقرُبة، ثم طلبني بأن أرافقهُ في الطريق بعد انصراف الشيخ وانصرافي من عنده؛ ففعلتُ.

وأثناء مشيِنا إذا بنا بشابٍّ ينتظر من أرافِقُ في جانب الشارع -وهذا بعلمه، وأنا لم أكُن أعلم-[1]؛ فترافق ثلاثتُنا، وأثناء الطريق راح يُكلّمُ صديقهُ الذي لم يحضر اللقاء عمَّا قالَهُ للشيخ، وهو يقول دائما:

«**قلتُ (للشيخ): كذا... وكذا...**».

و«**قلتُ (للشيخ فلان): كَيت... وكيت...**».

وتابع يسرُدُ لهُ ما كنتُ سمعتُهُ منه قبلُ؛ فكان من بين ما سألهُ صديقهُ -مُقاطِعـًا إيّاه-: **يعني سألتَ أخانا (فُلانا) -يعني: الشيخ!-!**

فتعجّبتُ بدايةً ثمّ رميتُ بدهشتي هاته -وبسرعة- أنّىٰ رمَت رحلها أمُّ قَشعَمِ...

(١) لأنني -أصلا- لم أتّفق مع أخينا في زيارة الشيخ ولم أرافقهُ؛ وإنّما كان اللقاء بالشيخ جمعنا قَدراً، وما جاء بعدهُ لم يكُن علىٰ ترتيبٍ منّي؛ هذا القصدُ ليس إلاّ.

فإذا بالأخ الأوّلِ يقولُ -مُجيباً عن سؤال صاحبه-: «**نعم، سألتُ الأخَ (فلانًا!) -أي: الشيخ!-...** ».

فقلتُ في نفسي حينها: أمّا هذه فلا... لن أرمِ بها كالأولىٰ**!**

أتعلمون ما وجهُ الاستنكار يا إخوة؟**!**

ربّما القارئُ لا يَلحَظُ سببَ استهجاني هذا؟... ربما**!!**

ولكن -أُخَي- هناك أسئلةٌ تُفسّرُ هذا:

- لِمَ كانَ مجيء الشابِّ لهذا الشيخ بالذّات؛ فيفتح معه موضوعا ويسأله من دون كلّ الناس؟**!**
- لِمَ طلبَهُ بادئ الأمر علىٰ انفراد دوني؟
- لِمَ كانَ يُكثِرُ قولَهُ مُخاطِبا إيّاه: «يا شيخ... يا شيخ... شيخنا...»؟**!**

الجوابُ علىٰ الأسئلة أعلاه:

لأنّهُ يرىٰ الشيخَ شيخٌ.

أليس كذلك؟

بلىٰ؛ وهو كذلك.

طيّب؛ لِم صارَ هذا الشيخُ بعدَ لحظات يسيرات من لقائه به أخـًا وليس شيخـًا؟**!!** وكأنّهُ من أقرانه؛ مع أنّ هذا شابٌّ، والشيخ في سنِّ والدهِ.

ربما يقولُ قائلٌ: هـو الأخُ في الإسـلام، حتّىٰ وإن كـان عالمـا لا يُشـقُّ لـهُ غُبارٌ؛ فما بالُكَ بمن دونَهُ!

قلتُ: ولا يُنكرُ هذه الحقيقة عاقِلٌ؛ نعم.

غير أنّ طرقة نُطقِها وكيفيّة استعمالها ضـمن الكـلام لا تليـق بـالطرفين؛ سواء الأخوين -وأخصّ الأوّل عن الثاني- أو الشيخ!

...

ثمّ ذهبت أيّام وجاءت أُخرىٰ؛ حتّىٰ صدرت من نفسـه كلمـة لا تُرقـعُ إلاّ باعتـذارٍ -لا أقـولُ: للشيخ؛ بـل لأهـل السـنة- وإصـلاح علـىٰ وزن الخطـأ في المُقابل!

أتعلمونَ ما قال؟

قال: «... **أتحدّاه**»!! -يريدُ بها الشيخَ-!

أرأيتم لماذا كان استنكاري -بادئ الأمر- وإن لـم أُبدِهِ له؟!!

ثمّ؛ كيف يتحدّاهُ، وبأيّ شيء يكونُ منه التحـدّي، ولمـاذا... هـل الشـيخُ قال باطِلاً من القولِ؛ أو خالفَ الحقّ في شيء دعاهُ أن يتحدّاه؟

الجواب: لا، وألفُ لا...

غايةُ ما في الأمـر أنّ ذاك الشـيخ وجّـهَ كـلام العلاّمـة ابـن عثيمـين رَحِمَهُ اللَّهُ في مسـألة لـم يفهمهـا ذاك الشـابُّ؛ فـأقرَّ هـذا ممّـن دونَـهُ سِـنّـًا وقَـدْراً وعلمـًا... -وهو العبدُ المُذنبُ-، ولم يَقْبَلْهَا لمّا جاءت من الشيخِ بعدُ!

وبعدَ مُضيِّ أيّامٍ قليلة معدودة، دخل صاحِبُنا الشاب مع أحد الإخوة في نقاش حول المسألة المُشار إليها آنفـًا؛ فلـم يـرض بقوله ولا بقـول الشيخ عند نقله له... **فقال**: «... **أتحدّاه**»!! -يريدُ الشيخَ دائمـًا-!

أُبشّركم أنّهُ لن يستطيع أن يتحدّىٰ -في الحقيقة- صاحبهُ الذي يُناقشهُ؛ فضلا علىٰ أن يتحدّىٰ شيخا من الشيوخ.

كل هذا نابعٌ من عدم معرفة قدر النّفسِ وقدرتها العلمية، والتشبع بما لـم تُعطَ أو يُعطَ -فكلاهما يصِحُّ-، **والتّعالم الصّارخ، والقُربُّ** -وهو الشاهد-!

قال بعض السّلفُ -رحمهم الله-: «**آفة العلم القربُ**».

أُفسّرِها بهاته الآفة الخطيرة، التي لا تغرز أنيابها إلاّ في جسـم حُـرِمَ غـذاءه «**العلم**»، وإذا كان هذا قد حصل؛ فلا مناص حينها من اتّخاذ غـذاء بـديل وهـو: «**التّعـالم**»! لِيَـرىٰ نفسـهُ والشـيخ سـواء مـع الفُـروق التـي لا تكفـي الصـفحة والصفحتان في سردها، فَيجرؤ علىٰ «**التّحدي**» -ولو بقوله-؛ فعَجَبـًا!

ولمّا كانَ القُربُ هو آفة لمن لم يعرف قدرهُ وقدر شيخه ومـا يـزال علـىٰ ذلك؛ فيكونُ من قبيل: «**كلّما كثُرَ اللمسُ؛ قلّ الحسُّ**»...

كان القُربُ هو غنيمة لمن عرف (قدره=**جهلـهُ**) وأبغضهُ، وعـرف العلـم وأهلهُ وأحبّه وأحبّهم لِحَملِهم لهُ...

***

...وختاماً

مشايِخُنا -حفظهم الله- صاروا إلىٰ ما هم عليه، لمّا ساروا العشرات من السنين علىٰ طريق العلم يطلُبونَهُ؛ فأنفقوا علىٰ تحصيله سنوات الطّفولة العذبة، وأيّام زهرة الشباب اليافعة؛ مزاحمة بالرّكب مجالس أهل العلم وحِلَقهم...

ولما كان هذا هكذا؛ **فهل جزاءُ الإحسان إلاّ الإحسان؟!**

أليس حقيقا بنا أن نعرف قدرنا ولهم قدرهم؟!

أليس حقيقا بنا أن نحترمهم لما حملوا في صدورهم وعلىٰ متن قلوبهم من قرآن وسُنّة وفقه بهما؟!

أليس حقيقا أن نستفيد منهم؛ لنرفع الجهل عنّا؛ فنعرف الحقّ وحقيقة ديننا؟!

أليس حقيقا أن ندعوَ لهم بظهر الغيب أن يجعلهم مفاتيحَ خَيرٍ، ويُثبّتهم، ويزيدهم عِلماً، وحِلماً علينا؟!

بلىٰ؛ والله إنّهُ لَحَقيقٌ بنا كل ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويعرف لعالمنا**»[(١)] يعني: **حقه**.

«أي شباب الإسلام؛ حملة الأمانة ومُستودع الآمال، وبُناة المستقبل ولائع العهد الجديد، خُذوها فصيحة صريحة لا تتستّر بجلباب ولا تَتَوَارىٰ بحجاب:

إنّ علّتكم الَّتي أعيَت الأطبّاء، واستعصت علىٰ حكمة الحكماء، هي مِنْ **ضَعفِ أخلاقكم ووهن عزائمكم، فَدَاووا الأخلاق بالقرآن تصلح وتَسْتَقِم، وأسوا العزائم بالقرآن تَقو وتشتدَّ**»[(٢)].

وخيرُ الهديِّ هديُ محمّدٍ -من كان خُلُقُهُ القرآن الذي زكّاهُ فيه ربّهُ، وكما قالت عنه عائشة تصفُهُ- صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وإخوانهِ.

وكتبَ

عبد الغني بن ميلود الجزائري

بعد فجرِ يوم الجمعة ١٣ ذي الحجّة ١٤٣١ هـ

١٩ نوفمبر ٢٠١٠ م

(١) أنظر «**المسند**» (٥/ ٣٢٣)، و«**المستدرك**» (١/ ١٢٢).

(٢) مِمّا قالهُ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في «**تصدير نشرة جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين**».







الأوراس للنشر على الشبكة الدولية